الصحف في البلاد العثمانية

لم تكد الاحتفالات تنتهي في عاصمة السلطنة وسائر بلادها، حتى طفق أهل العلم والفضل يبدون الجرائد بآرائهم وأفكارهم، وانبرى الاديبات في الاستانة خاصة الكتابة، بعد ان وقفن ذلك الموقف المشهود في الخطابة، فأكد لنا الخبر الخبرَ وهو ما كنا نسمعه عن الارتقاء الأدبي العظيم في الاستانة وغيرها من ولايات الدولة ولا مراء في ان هذا الانقلاب الاخير، نتيجة ذلك الارتقاء الكبير

تسابق الناس الى طلب إنشاء الجرائد والمجلات ولا سيما في الاستانة حتى بلغ عدد ما أنشئ فيها وحدها حتى الآن مئتين وعشرين ما بين جريدة ومجلة وقد صدر في بقية البلاد ما يقارب ذلك ومن ذلك ثماني جرائد هزلية مصورة رأيناها معتصمة بحبوة النزاهة والادب بعيدة عن المجون وسخيف الهزل ولا ريب في ان اعمال المرء هي مرآة لاخلاقه ينطبع فيها ما يحمد وما يذم وعسى ان تكون هذه الجرائد الهزلية في مسلكها الادبي قدوة لكثير من جرائدنا الكبرى التي أصبحت مجموعة للشتائم والتفنن في أساليبها حتى صار كثير من الادباء يصدفون عن قراءة الجرائد العربية

رأيت في جريدة « قلم » إحدى الجرائد التي نوهت بها في صدر هذا المقال رسماً أثر فيَّ تأثيراً لم أعرفه منذ وجدت، أحدث في فؤادي اضطراباً، وفي جسمي رعدة عظيمة، وقشعريرة قوية الشكيمة، حتى كدت لا أملك نفسي على دفع البكاء ثم تلا ذلك انكماش وسكون، وفتور وذهول

ذلك الرسم يمثل هيكلاً منتصباً من العظام يحكي رسوم علماء التشريح (Physiologie) التي توضع للدلالة على اعضاء الانسان، لا لما وضعه صاحب الجريدة وهو تلاوة العفو على هذا الهيكل من السلطان ! ! ! يرى الرائي ذلك الهيكل والأداهم والقيود مطوقة يديه ورجليه كأنه من بقايا المغضوب عليهم من نيرون الماقي الروماني وأمامه رجل يتلو عليه نبأ العفو عن السياسيين ! فكأن الرسم يقول له : اعزب عني فقد جئت بعد وقتك بزمان طويل وما أكثر الذين ذاقوا من وبال حكومة الظلم السابقة ما يجعل هذا الرسم ينطبق عليهم تمام الانطباق

ورأيت رسما آخر يمثل سجينا اخنت عليه السنون ، واذاقه الظلاّم عذاب الهون، فتبدلت خلقته، وتغيرت سحنته، وانسدل شعره على كتفيه، وملأت لحيته صدره، وطالت اظفاره ، حتى صدق عليه قول عنترة في الاسد : « له لبد اظفاره لم تقلّم » وما كانت حياة أبي الاحرار مدحت باشا في منفاه (قبر الاحياء) الا كحياة هذا السجين

ظهرت الجرائد في حياتها الجديدة فرأينا فيها المباحث المستفيضة في السياسة والعمران والاجتماع وكانا تدل على اختبار منشئيها، وسعة علم كاتبيها، و بعد غورهم في السياسة، وحسن أسلوبهم في استمالة الدول، ولاسيما صديقي دولتنا القديمتين انكلترا وفرنسا، حتى مالتا الينا وقرظتا احرارنا أحسن تقريظ، وحتى أصبح أحد وزراء فرنسا من قبل يقول في خطبة له : « ان احرار تركيا أعظم من رجال الثورة في فرنسا » وناهيك صدور هذا القول من فرنسي دع انه من مشهوري رجال السياسة لان الفرنسي يملأ ما ضغيه فخراً برجال الثورة، ويعترف بأنهم فوق كل البشر، بل أصبح ساسة الانكليز يكتبون عنا مثل الفقرة الآتية من مقالة لجريدة الدايلي تلغراف الكبرى : « وأكبر واجب على انكلترا في الحال الحاضرة ان تساعد بكل قواها رجال الاصلاح في السلطنة العثمانية وتراقب مراقبة حبية عمل أية دولة تحاول بذر بذور الشقاق في البلقان أو أي عمل يراد به مناوأة رجال تركيا الفتاة في شؤونهم » واذا لم نجن من صداقتنا لهاتين الدولتين الكبريين فائدة الا صدهما لباقي الدول عن عرقلة مساعينا وايقاف سير أعمالنا لكانت خير فائدة

كانت الجرائد قبل هذا الانقلاب تكتب بغير اقلام أصحابها، وأريد بذلك انها كانت تكتب ما يراد منها من اطراء أعمال الحاكمين، وتقديس البغاة الظالمين، لا ما تريد من المباحث التي تعود بالنفع والخير على البلاد والعباد، على ان كثيراً من أصحاب الجرائد كانوا مغبوطين بتلك الحال التي جعلتهم في مصاف الاغنياء والعظماء — عظماء ذلك العصر المظلم الذي كانت العظمة فيه عبارة عن الخيانة والجاسوسية والوساطة بين الحاكمين والمحكومين لهم بالرشى وأكل أموال الناس بالباطل

ولكن جرائد الاستانة كانت على شدة المراقبة والسيطرة عليها تكتب في شؤون الزراعة والصناعة والادب وما في معنى ذلك مما لا علاقة له بالسياسة كل

مفيد ، اما جرائد سوريا وباقي الولايات فكانت دون اخواتها في الاستانة في المباحث ، وأوغل منهن في تقديس السلطة الجائرة ، والفئة الباغية الخاسرة ، ثم لا تزال بعد التمتع بالحرية متخلفة عنها بمراحل ، فعسى ان تغذ في سيرها ، وتجتهد في إدراك شأوها ، فلا تضع نفسها منها موضع الظالع من الضليع ، ورجاؤنا كبير في الذين عقدوا النية على إنشاء جرائد جديدة في تحقيق الأمل كصديقنا الشيخ أحمد حسن طبارة الذي أصدر جريدته (الاتحاد العثماني) وصديقنا عبد الغني افندي العريسي فانه عزم هو وحسن افندي بيهم الشهير على إصدار جريدة يومية سمياها (المفيد) واذاع صديقانا جرجي افندي يني وأخوه صموئيل افندي نشرة ذكرا فيها انهما سينشآن مجلة علمية أدبية سياسية دعواها المباحث فسرنا هذا النبأ لأن الكاتبين ضليعان بما انتدبا له

***

استغرقت المباحث السياسية اقلام الكتاب حتى يكاد من ينظر في جرائد الاستانة في هذه الآونة لا يرى فيها مقالة أدبية أو بحثا اجتماعيا أو اخلاقيا الا فيما ندر وهم لم يتناولوا المرأة في بحثهم البتة لذلك انبرت عاطفة جلال احدى فضليات بنات الاستانة وكتبت مقالة تستنكر فيها ذلك وقد بحثت في شأن المرأة بحثا مفيدا ودعت الكتاب الى مشاركتها في موضوعها ، نشرت المقالة في جريدة «ثروت فنون» بعنوان « اليس لنا نصيب في الرقي » وترجمتها «الجريدة» بالعربية واننا نقلها عنها بنصها مع تصحيح قليل قالت :

« نقرأ الجرائد فلا نراها تكتب في المرأة الا شذرات قليلة وبعض مقالات يكتبها بعض السيدات ، فنستغرب من كتابنا تركهم للمباحث الجليلة في رقي المرأة على أنهم يكثرون من كتابة المقالات الضافية الذيول الكبيرة الحواشي في اصلاح الحيوانات الاهلية ونراهم حلقوا باقلامهم في جو الصين واليابان وما فكروا قط في اصلاح أحوال المرأة ، كأن المرأة في نظرهم لا تعد من الانسان ، أو هي في درجة أقل من درجة الحيوان ، أو كأن المرأة لا تزال في اعتبارهم معدودة من الزينة غير المفيدة ، أو من متاع البيت

نرى حضرة المحرر الشهير والكاتب البارع مشتاق بك يملأ أعمدة الجرائد بالكتابة عن شركة البواخر ولم نره يكتب عن اصلاح المرأة كأن اصلاح المرأة في نظره ليس له من الاهمية في الهيئة الاجتماعية مالشركة السفن

ينصح لي بعض الاعيان بأن أقرأ ثلاثا واكتب واحدة : حبا وكرامة فاني أقرأ خمسا واكتب واحدة واذا أرادوا الزيادة فلا أكتب شيئا واقرأ عشرا ولكن هل لهم ان يتفضلوا هم ويكتبوا فيغنوني عن الكتابة

نحن نعد أنفسنا من بني الانسان ونطلب أن يكون لنا نصيب في الهيئة الاجتماعية ولقد سكت الكتاب العثمانيون عن البحث عن حقوقنا مع ان الانسانية تقضي عليهم أن لا يسكتوا وان يطلبوا اصلاحنا قبل أن نطلبه نحن

نحن نرى مباحث الصحف منحصرة الى الآن في كيف تكون زينة المرأة كأن المرأة اذا ذكرت لا يتبادر من ذكرها الا انها (ألعوبة مزينة) ولا يخطر على بال الباحث في هاته الصحف ان المرأة كالرجل لها ماله وعليها ماعليه. فيجب أن لا يقتصر الباحثون على زينة المرأة كلما أرادوا البحث في شأنها ومن يقتصر على ذلك يهين المرأة ويجرح عواطفها . ونحن نريد أن نزين عقولنا قبل أن نزين أجسادنا وهذا لا يكون الا بالتربية والتعليم وفتح أبواب المدارس في وجوه الفتيات

اقترحت حضرة فاطمة هانم افندي في مقالتها التي نشرتها «ثروت فنون» أن تؤخذ سراي رضوان باشا وتجعل مدرسة للبنات، واما انا فأرى أن تفتح مدرسة للبنات حيثما كانت وكيفما وجدت. وقد استحسنت الكاتبة أن يتضمن برنامج المدرسة تعليم التطريز والامور المنزلية باللغتين التركية والانكليزية ورأيي انه متى كان التدريس جيدا مفيدا فليكن بأية لغة كانت . واذا وفقت فاطمة هانم افندي الى انشاء هذه المدرسة فلتعدني خادمة فيها فان لم استطع ان أقوم بوظيفة التعليم والتدريس فاني أكون من جملة المتعلمات لأن في التعلم والتعليم خدمة للوطن، وأؤكد أن بيننا من النساء من هي واسعة الاطلاع عارفة بحاجات الامة

المرأة تمثل في الهيئة الاجتماعية نصف أدوار قصة الحياة فلو عرف الكتاب الكرام هذه الحقيقة واعطوها حقها من البحث لقاموا بخدمة وطنية عظيمة، واظن انهم اذا فعلوا

ذلك بقيت عظمتهم الكتابية في المنزلة التي لا تمس بسوء فهل يرضى أولئك الكتاب ان يشتغلوا في كثير مما لا فائدة منه وانا وامثالي من الفتيات ننادي بانشاء المدارس ونحن لا نزال في دور التحصيل ؟ » اه

فعسى ان نرى في فتياتنا من ينهجن نهج الكاتبة القويم ويذهبن مذهبها في وجوب التربية والتعليم

وقد ورد في الانباء الاخيرة ان مشيخة الاسلام اعلنت بأنها ستصدر جريدة شبيهة بالرسمية، تنشر فيها مزايا الدين الاسلامي، ودحض التأويلات وبيان فسادها، ورد الشبهات التي يرمى بها، هديا للناس، ودفعا للخرافات والاوهام، فسرنا هذا النبأ كثيرا الان مثل هذه الجريدة ستقطع السنة كثير من الملحدين والمخرقين، وتقضي على التقليد والمقلدين، فتكون عونا للمنار على تأييد مبادئه التي جاهر بها منذ سنين

حسين وصفي رضا

البرنامج السياسي

﴿ لجمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحببنا نقله عنها لقراء المنار وهذه ترجمته بالحرف :

١ — جعل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك تعد الوزارة مستقيلة اذا لم تحز اكثر الاصوات في المجلس

٢ — لا يكون مجلس الاعيان (الشيوخ) مقيداً بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب الامة ثلثيه لمدة معينة

٣ — سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب درجة الاولى سواء أكان من أصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من رعايا الدولة ماعدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق